تـمّ تحميل هذا الملفّ من مكتبة الأديب الرّاحل رمضان لاوند | جميع الحقوق محفوظة © www.RamadanLawand.com

الأَديب و المُفكِّر الرَّاحِل

رَمَضان عَبْدِ الرَّحْمن لاَوَند

سيّد المنابر

منوعات دينية 2

مؤثرات ... الافتتاحية الدائمة .....

الراوي : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ادرؤوا الحدود عن المسلمين ما استطعتم ، فمن كان له ملجأ فخلوا سبيله ، فإن الأمام أن يخطىء في العفو خير من أن يخطىء في العقوبة"..

الراوية: وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لنا أيضا .. " ادرؤوا الحدود بالشبهات" إنها دعوة مجتمع فيها الالتزام الدقيق لأوامر الله والتشدد في تطبيق الحدود التي أمر بها الله من ناحية كما يجتمع فيها أيضاً ذلك الروح النبيل الذي يغذي في نفوس المشرعين والقضاة تلك الرغبة العميقة في تبرئة من يمثل أمامهم من المهتمين بالشبهات التي قد تعرض لهم .

الراوي : ولا عجب في ذلك فالتشدد في تطبيق الحدود إذا تثبتت التهمة ثبوتاً لا سبيل إلى تجاهله أو انكاره أو على الأقل لا سبيل إلى اثارة الشبهات من حوله ، هذا التشدد ضرورة ملحة وشرط أساسي لحماية مجتمع المسلمين من الفساد ولتدعيم جذوره أمام عصف الشهوات وعسف من تزين لهم نفوسهم الاعتداء على من سواهم من الضعفاء . لكن هذا التشدد يرافقه اشفاق ظاهر من قسوة العقوبة ورغبة جادة في تبرئة من يتعرض للإتهام عندما تكون سبيل إلى ذلك .

الراوية: فالحدود لا تطبق في نظر الشارع ما لم تكن ثابتة ثباتا مطلقا لا يعتور التهمة معها ذرة من شك أو يخالجها أثاره من التردد والغموض.

الراوي : فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يرتفع إلى قمة عالية من مشاعر الحدب والحنو والشفقة والرحمة إلى جانب الالتزام الشديد بأوامر الله حين يقول : " فإنّ الامام إن يخطىء في العفو خير من أن يخطىء في العقوبة "..

الراوية: هذا التوجيه النبوي الذي يجمع بين حرمة التشريع وقمة الرحمة فلا يتعارضان ولا يتناقضان هو نفسه الذي انتهى إليه العالم المعاصر في تشريعاته القادمة إليها من الخارج حين يقرر " بأن الشك يفسر في صالح المتهم"..

الراوي : وهي نهاية حميدة دون ريب توفرت فيها للإنسان ضمانات كثيرة .. لعل أبرزها وأهمها ضمانة العدالة . فالعدالة هي أبعد وأكرم ما يسعى الإنسان إلى تحقيقه من غايات حياته ..

الراوية: لكن الفرق بين الظروف التي رافقت المطالبة بدرء الحدود بالشبهات عند المسلمين وبين تلك التي رافقت هذه المطالبة نفسها في الحضارة الغربية ، هذا الفرق يتمثل في ظاهرتين اثنتين : الظاهرة الأولى هي أن مبدأ تفسير الشك لصالح المتهم لم يعتمده العالم الغربي إلا بعد ظهور هذا المبدأ في العالم الإسلامي بألف عام . والظاهرة الثانية أن العالم الغربي لم يعتمد هذا المبدأ إلا بعد معاناة رهيبة وخسائر فادحة وجرائم اجتماعية خطيرة سالت بها دماء غزيرة وزهقت فيها أرواح بريئة لا سبيل إلى إحصائها.

الراوي : إن درء الحدود بالشبهات هو وعي مبكر بنقاط الضعف عند من يسقط في الخطيئة .. وهو بالتالي محاولى لإنقاذ المتهم مع الالتزام بحقوق الله التي لا تفريط معها أبدا ..

الراوية: ولم يكن إعلان هذا المبدأ تحت ضغط الظروف الاقتصادية أو التحولات الاجتماعية والسياسية كما يصر المنظرون على ذلك في عالمنا المعاصر وإنما كان رحمة مهداة من الله عز وجل نزل بها رسول أمين وحياً من السماء يهدي بها الله من اتبع رضوانه سبل السلام والمحبة والوئام ..

الراوي : أما الإعلان عنه في الغرب فقد كان الجائزة التي فازت بها أجيال متلاحقة دفع كل منها ثمن حريته غالياً من الأموال والدماء والأنفس .. فالرومان في قانونهم لم يكونوا يجدون حقاً لغيرهم في الحرية والعدل . وكانوا قلة من السادة يذكر المؤرخون أنهم لم يتجاوزوا في البداية 214 ألف شخصاً فقط بينما كان الذين يفقدون حقهم في الحرية والعدل والتصرف بأنفسهم في ايطاليا وحدها لا يقلون عن عشرين مليوناً من العبيد.

الراوية: وخلاصة القول أن مبدأ درء الحدود بالشبهات كان قفزة نورانية جاءت بها العناية الإلهية مع دين نزل وحياً على قلب محمد صلى الله عليه وسلم هدى ورحمة للعالمين ..

موسيقى .. دقه سريعة .....

الراوي : أنت الآن يا أخي المسلم وأنت يا أختي المسلمة قد قضيتما شطراً من هذا النهار .. انصرف فيه كل منكما إلى عمله .. أما أنت يا أخي المسلم فقد خرجت تسعى على عيالك ، وتسأل الله من فضله .. وأما أنت يا أختي المسلمة فقد انصرفت بدورك إلى شؤون البيت ترتبين أشياء هذا البيت وتعنين بمواعينه وتحاولين أن تجعلي منه المكان الصالح الذي يجتذب الزوج فيمنحه الإحساس بالرضا كما يهيىء للأطفال الجو الذي يساعدهم على النمو في ظل الأبوة الكريمة والأمومة الحانية .

الراوية: ولعلك يا أختي المسلمة أن تكوني وأنت تهتمين بشؤون البيت وترعين شؤون الزوج والأطفال ، قد تذكرت في كل وقت قوله عز وجل في محكم تنزيله : " وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ "..

الراوي : وهذا يعني بالطبع أن ربة البيت لا تعيش لنفسها بل هي مرتبطة في هناءتها .. كما هي مرتبط في العسر واليسر والتعب والراحة والقلق والطمأنينة بغيرها من أفراد أسرتها الصغيرة . فهي إذ تعمل لا تعمل لنفسها فقط وهي إذ تفكر لا تفكر في ذاتها وحسب بل تعمل وتفكر للمجموعة التي هي عضو فيها . إن حريتها مشروطة ومرهونة بحرية كل فرد من أفراد هذه المجموعة ولا يسهل عليها الوعي بهذه الحرية غير المحبة التي تربطها بأفراد الأسرة .

الراوية: والشأن هو نفسه عند الأخ المسلم . فهو لا يسعى إلى رزقه في صحراء .. ولا يكسب عيشه منعزلاً عن سواه .. هو غصن في دوحة كبيرة لا ينفرد عنها ولا يستقل بنفسه في صنع حياته . وكلما كان تعاونه مع الناس حوله كان نصيبه ونصيب الناس من النجاح أوفر وأعظم .

الراوي : ولعل خير ما يوصف به هذا الوضع الذي يتحرك فيه كل من الأخ المسلم والأخت المسلمة هو أنه تعبير عن روح الجماعة والإحساس بالمصير المشترك .. وقد أثبتت تجارب الأمم في كل جيل من أجيالها المتعاقبة بأن صمام الأمان لأي منها هو شيوع روح الجماعة عند فئاتها وطبقاتها المختلفة واحساس الجميع بالمصير المشترك الذي يضمهم في قرن واحد ..

الراوية: والجدير بالذكر أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكف خلال دعوته إلى الله عن العمل على تدعيم روح الجماعة وتعميق الاحساس بالمصير المشترك لا في حدود الأسرة وحسب بل في حدود الأمة كلها .. مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعت له سائر الأعضاء بالسهر والحمى ..

الراوي : وهذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم يطرح في بعض ما روي عنه صورة أدبية هي من أبلغ الصور وأبينها في ابراز الدور الخطير الذي يقوم به التماسك الاجتماعي الذي يفكر فيه الفرد ويعمل لنفسه كما يعمل للأمة التي ينتمي إليها والعكس بالعكس .. فقد روي البخاري في صحيحه والترمذي عنه أنه قال : " مَثَلُ القَائِمِ فِي حُدودِ اللَّه، والْوَاقِعِ فِيهَا كَمَثَلِ قَومٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سفينةٍ، فصارَ بعضُهم أعلاهَا، وبعضُهم أسفلَها، وكانَ الذينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الماءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصيبِنا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا. فَإِنْ تَرَكُوهُمْ وَمَا أَرادُوا هَلكُوا جَمِيعًا، وإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِم نَجَوْا ونَجَوْا جَمِيعًا "..

الراوية: هذا الحديث النبوي الشريف الذي يشبه المجتمع بالسفينة يشترك في الإبحار بها جماعة من الناس تتوحد بها مصائرهم فينجون بها جميعاً إن نجت ويهلكون بها جميعاً إن هلكت هو الذي هو الذي يفسره اليوم من الناحية القانونية ما يسمى " الحق العام " أو حق المجتمع على الفرد . فالقاتل لا يقع ضرره على شخص القتيل ولا تصيب جريمته هذا الشخص وحده بل تعتبر جريمته عدواناً على المجتمع الذي ينتمي إليه . ذلك أن هذه الجريمة تحدث خرقاً في بنية المجتمع يعرضها لأسوأ الأخطار.

الراوي : هذا هو الإسلام دعوة لحماية الفرد وانقاذه كما هو تدبير لحماية المجتمع وتجنيبه التعرض لمزالق الأفراد وانحرافاتهم . والمؤسف أن كثيراً من الناس ينسون سفينة المجتمع حين يظنون أن من حقهم أن يسلكوا السبيل التي يختارون فلا يراعون حق المجتمع عليهم ولا يبالون بالأخطار التي يسببونها لغيرهم من الناس .

الراوية: وها أنت الآن يا أخي المسلم وأنت يا أختي المسلمة قد مضى عليكما شطر من هذا اليوم . فمن حق الله عليكما أن تتساءلا عما قدمت أيديكما في النصف الأول منه . فإن أهملتما بعض ما عليكما من الواجب فأنتما لا تضران نفسيكما وحسب بل تسببان العذر لمن ترتبطان به من أفراد الأسرة أو من أفراد المجتمع كله . أن حريتكما في التصرف مشروطة بالحفاظ على حريات الآخرين . ومجموعة هذه الحريات في تكاملها وتوازنها وترابطها الضمانة الكبرى لسلامتكما وسلامة غيركما من الناس .

الراوي : مالك الأرض الواسعة لا يحق له أن يهمل أرضه . فهو مستخلف عليها من الله عز وجل شرط أن يحييها وأن يرزق بإحيائها من يشاركه في العمل فيها . وصاحب المصنع لا يحق له أن يفسد مصنعه أو يهمله . فهو مستخلف عليه من الله عز وجل شرط أن يحسن إدراته وأن يرزق بهذه الإدارة من يشاركه في صيانة المصنع

وتشغيله . إنه حر في الإحياء وحر في التنظيم والتحسين وحر في الكسب . لكن حريته هذه مرتبطة بحق من يعملون معه أولاً وبحق المجتمع كله ثانياً .

الراوية: هذا هو ما يستعاد من قوله صلى الله عليه وسلم : فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا ، وأن أخذوا على أيديهم نجوا ، ونجوا جميعا .

الراوي : وما يصح على الأرض واصلاحها والمصنع حسن إدارته يصح على كل أنواك السلوك .

موسيقى .... دقة سريعة .....

جاسم : هل قرأت يا **مسعود** الرواية التي نشرت لي في الأسبوع الماضي ؟

مسعود : نعم .. لقد قرأتها وقرأتها جيداً أيضا .

جاسم : وما رأيك فيها ؟

مسعود : رأيي يا **جاسم** أن لك مفهوماً في حرية الكاتب يختلف عما أفهمه من الحرية .

جاسم : ماذا تقصد بذلك ؟

مسعود : أقصد إلى أن حرية الرأي لا تعني حرية الإفساد . فأنت لا تقتصر على وصف مشاعر الشخوص في روايتك بصورة موضوعية لكنك في الوقت نفسه تحاول أن تجد الأعذار والمبررات التي تشجع على الانحراف .

حاسم : لكن الدنيا كلها اليوم متفقة على ضرورة أن يتمتع الكاتب بحريته في إبداء رأيه .

مسعود : والرأي مسؤولية يا **جاسم** ! ألا تعلم أن من بين قرائك فتياناً وفتيات تنقصهم التجربة ويكونون صورة عن الحياة في خيرها وشرها من خلال ما يكتبه أمثالك لهم ؟

جاسم : أنت تهدم بهذا أفضل ما حققته البشرية من المكاسب..

مسعود : قل لي إذاً : ما هي مهمة الأدباء ورجال الفكر في العالم ؟

جاسم : إنها تقتصر على تقديم صور من تجاربهم .

مسعود : وما هو المقصود من تقديم هذه الصور ؟ أليس من حق الناس عليك أن تنمي في نفوسهم روح الفضيلة ، وأن تدفعهم إلى اتخاذ الأفضل من الخيارات ؟ ثم أليس أنك صاحب رسالة غايتها تكوين مجتمع نظيف ؟ القارىء يا **جاسم** في حاجة إلى الرأي الذي يساعدة على ممارسة حياة ناجحة .. وفي حاجة إلى

التوجيه الذي يمكنه من تعميق روح التعاون والخلق الكريم والتضحية في سبيل ما يؤمن به والالتزام لشروط الحياة المجتمعية المشتركة .

جاسم : لكن هذه الحرية التي لا تعجبك هي التي تعتبر اليوم الإنجاز الأكبر للحضارة المعاصرة .

مسعود : عندما تتذكر يا **جاسم** أن الأمن الاجتماعي المتمثل في النظام والنظافة والاستقامة والارتباط بالمثل العليا وهي كلها ضرورات أساسية لتوفير هذا الأمن ، عندما تتذكر هذه الحقيقة سيتبين لك أن الحرية التي تنادي بها هي حرية الإفساد والاستجابة للشهوات كما لو أن أنك بها تتملق الغرائز البشرية العمياء .

جاسم : أوَتريد مني أن أتصرف على غير ما يتعارف الناس عليه اليوم ؟

مسعود : وهل تريد أنت أن تتصرف دون مبالاة بمصير أولادك وجيرانك والمواطنين من أبناء أمتك لا يحدوك غير الرغبة في الإثارة وتملق الشهوات ؟ كلا يا **جاسم**.. اذكر أن كل مفسدة قد تترتب على ما تكتبه لا بد وأن تحدث خرقاً خطيراً في بنية المجتمع الذي تنتمي إليه .

جاسم : دعني أفكر في هذا الموضوع .

مسعود : سأدعك على أن تعي دورك القيادي ومسؤوليتك أما م الله والناس من حولك .

ضربة موسيقية .....

الراوي : هكذا يتصرف من لا يعي حدود الحرية، ولا يدرك دوره الاجتماعي البناء . فإن تركه الناس يعيث فساداً في الأرض بقلمه أو بلسانه أو بأي نوع من أنواع السلوك فقد باؤوا بغضب من الله واستأنفوا العمل بما لعن به الذين كفروا من بني اسرائيل الذين لم يكونوا يتناهون عن منكر فعلوه أبدا .

موسيقى .. فاصل سريع .. صدى سوط يضرب به حيوان .....

مسعود : لم هذه القسوة يا **سعد** ؟ هوّن عليك ؟ فإن هذا الحيوان أمانة بين يديك .

سعد : وماذا أفعل ؟ إنه عنيد يرفض جر العربة .

مسعود : ولماذا لا تسأل نفسك عن سبب عناده ؟ إن لهذا البغل قدرة محددة على التحمل . فلا تكلفه ما لا يطيق .

سعد : ولكني مضطر لنقل هذه الحاوية كلها مرة واحدة .

مسعود : كان عليك أن تجزئها .. وبدلاً من أن تنقلها في مشوار فليكن نقلك لها في مشوارين .

سعد : إن تفريغ الحاوية من بعض محتوياتها عمل متعب .. وأنا لا آمن أن أترك هذا البعض هنا بانتظار أن أعود إليه .

مسعود : لا تنسى قول الرسول صلى الله عليه وسلم : " ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء " هذا حيوان مسكين لا يحسن الشكوى ولو كان قادراً على الكلام لرجاك أن تخفف عنه بعض ما تحمله عليه .

سعد : إنك يا **مسعود** تكلفني من أمري شططاً .

مسعود : ما أكلفك به من الشطط أرضى لله ولرسوله وأمس رحماً بأخلاق المسلم . أفلا تحب يا أخي أن يرحمك ربك يوم لا تنفع شفاعة الشافعين ويوم لا يخدمك غير ما تقدم من العمل بين يديك .

سعد : لكن هذا حيوان بهيم لا حق له علي .

مسعود : بل له كل الحق عليك . إن له عليك حق الرحمة وإن له عليك المعاملة الطيبة الكريمة .. لقد سخرته العناية الإلهية لخدمتك فليكن تسخيرك له في حدود ما يقضي به الضمير الحي .

سعد : قلت لك أنك تكلفني من أمري شططاً .

مسعود : لا تنسى يا **سعد** أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أخبرنا أن الله كتب الإحسان على كل شيء. والإحسان على الحيوان الذي لا يستطيع الشكوى أخطر عند الله وأعظم قدراً . على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقتصر على المطالبة بالإحسان في التعامل مع الناس والحيوان فقد بلغ من اصراره على التخلق بأخلاق الرحمة حتى حين تذبح الحيوان الذي أحل لك الله ذبحه فجعله طعاماً لك ولأمثالك .

سعد : وماذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

مسعود : قال : " إن الله كتب الإحسان على كل شيء ، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة ، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة، وليحدّ أحدكم شفرته ، وليرح ذبيحته"..

موسيقى : فاصل سريع .....

الراوي : نعم إنها قاعدة خلقية في حياة المسلم . والواقع أن الرحمة بالحيوان ليست هي المكتوبة على المسلم حين يسخره في عمله اليومي أو حين يذبح ما أحل له ذبحه منه ... بل هي مكتوبة على كل شيء وفي كل موقف ..

الراوية: حتى في الحرب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر المسلمين بالامتناع عن التمثيل بالأعداء . حرم عليهم كل أنواع التعذيب . ذلك لأن الرحمة خلق أصيل عند المسلم وشرط من شروط تمام إسلامه.

الراوي : بل إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحض أصحابه على ممارسة الرحمة حتى مع النبات . أوَليس أنه كان يمنعهم من اقتلاع الأشجار المثمرة أو احراقها عند الأعداء . إن الحرب النظيفة في الإسلام تخالطها الرحمة أيضاً .. فإحراق الأشجار عدوان يرفضه الله عز وجل فالأشجار ليست عدوة للإنسان بل هي مسخرة له .. وتدمير البيوت عدوان يرفضه عز وجل لأن البيوت ليست عدوة للإنسان بل هي مسخرة لإيوائه..

الراوية: إن الاحراق والتدمير موقوفان على مكامن العدو وأسلحته .. وعلى المواطن التي يأتي الخطر منها وحسب . أما ما سوى ذلك فهو عدوان والله لا يحب المعتدين .

الراوي : وليس هذا وحسب أيضاً فالحرب في دين الله هي حرب دفاعية .. حرب يقصد بها ايقاف عدوان المعتدين ولهذا قال الله جل وعلا في محكم تنزيله : " إِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ".. وقال تبارك وتعالى أيضا : " وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ "..

الراوية: هكذا تمتد أبعاد الرحمة في الاسلام بحيث أنها تسع المؤمن والكافر ما دام أن هذا الأخير لم يبادر إلى العدوان ولم يستخدم السلاح ضد المسلمين .

الراوي : من هنا ندرك أن حرية الاعتقاد في الاسلام هي بعض ثمرات هذه الرحمة . أوَليس أن الله عز وجل قد قال لرسوله صلى الله عليه وسلم " فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ (21) لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ (22) "..

الراوية: ثم أليس هو القائل أيضاً : " إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ "

الراوي : ثم تقرر في علم الله عز وجل أنه لا إكراه في الدين . وهو الذي يقول لنا في محكم تنزيله : " لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ".. صدق الله العظيم ..

الراوية: هذه هي أبعاد الرحمة الواسعة في الإسلام . إنها رحمة بالحيوان والجماد والنبات بل وبالأعداء أيضاً في المعارك الحربية .. وهي فوق هذا وذاك رحمة تمنح الناس حريتهم في اختيار العقيدة . فلا يحق لمسلم أن يرغم غيره على اعتناق عقيدته . فالله وحده هو الذي يحاسب عباده وهو وحده الذي يزكي من يشاء ويعذب من يشاء

ويثيب من يشاء . إن هذا الهدى الذي ترمز الرحمة إليه هو أرفع وأنقى وأسمى ما تعرفه البشرية منذ فجر الحياة حتى يوم يبعثون .

مؤثرات ... الخاتمة الدائمة ...